

ظاهرة الإدمان على المخدرات والجريمة

الدكتور عبدالاله بن شرقي

ملخص

أصبحت ظاهرة الإدمان آفة العصر، واستفحل خطر ما بين مختلف فئات وطبقات المجتمع، إذ أصبحت تشكل مصدر قلق سواء بالنسبة للحكومات أو المجموعات الدولية في جميع أنحاء العالم مع وجود بعض التفاوت بين البلدان في حجم وخطورة المشكلة تبعا للوعي الاجتماعي السائد وتوفر الإرادة القوية وتجنيد الإمكانيات للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، وامت تجدر الإشارة إليه هو أن ظاهرة الإدمان على المخدرات قد ألفت بظلالها على المجتمع الجزائري وهذا بالنظر للوضع الجغرافي والسياسي والتطورات التي طرأت على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكذلك غياب ثقافة التعامل مع المتغيرات المفاجئة والعنيفة التي تحدث في المجتمع.

Résumé

Le phénomène de la toxicomanie est devenu le fléau de l'époque et le danger parmi les diverses classes et couches de la société est devenu une source de préoccupation tant pour les gouvernements que pour les groupes internationaux, avec des différences d'ampleur et de gravité entre les pays, Le phénomène de la toxicomanie a jeté une ombre sur la société algérienne, compte tenu de la situation géographique et politique et de l'évolution de la vie sociale, culturelle et économique, ainsi que du manque de culture de la variable. Soudaine et violente se produisant dans la société

ظاهرة الإدمان على المخدرات والجريمة

الدكتور عبدالاله بن شرقي

مقدمة

تعتبر ظاهرة الإدمان على المخدرات من الآفات التي تعاني منها العديد من دول العالم، فهي تنتشر بشكل كبير ومخيف في المجتمع الجزائري، خاصة في أوساط الشباب والشابات، والكبار والصغار، وطلبة المدارس والجامعات...

ومما يبعث على الخوف والقلق هو التزايد الكبير على الإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية بشكل واسع خاصة في الآونة الأخيرة... هذا كله جعل (مافيا) المخدرات تعمل على ترويح شائعات ودعايات مغرضة حول قدرة الحشيش والمخدرات والمؤثرات العقلية على إحداث الراحة، والاسترخاء، والنشوة، وزيادة القدرة الجسمية والقدرة الجنسية وما شابه ذلك... في ضوء اتساع دائرة التعاطي والاتجار فيها وتطويعها، وعلاقتها بمختلف الجرائم من عنف وسرقة والشذوذ الجنسي، وجرائم أخرى من هذا النوع أكثر تأثيرا وخطورة على أمن وسلامة المجتمع، وهذا ما نلاحظه من تقارير وتصريحات الأجهزة الأمنية والقضائية أن أغلب الجرائم المرتكبة من قتل واعتداء على الأموال والأنفس، إنما تقع تحت تأثير المخدرات ومن هنا تتبين لنا أن هذه الآفة عبارة عن سلاح هدام يهدد البشرية، لأنه يتسلل إلى جميع أفراد المجتمع بأساليب مختلفة ويعمل على سلب إرادة الأفراد، والسيطرة على عقولهم وقدراتهم بأبسط الطرق والأساليب.

1) مفاهيم حول المخدرات

- تعريف المخدرات لغة:

غالبا ما نجد في تعريفات المخدرات نوعا من اللبس والتداخل في معنى الكلمة وتعريفها، وفي تحديد ما هو مخدر وما هو غير مخدر، وأحيانا يكون هناك اختلاف في التعريف حسب المجال العلمي، فهناك التعريف اللغوي والتعريف العلمي، والتعريف القانوني، والتعريف الديني والتعريف الطبي.

وبشكل عام جاء في معاجم اللغة العربية (القاموس المحيط) شرح واف لمعنى المخدر، وهي كلمة مشتقة من (خدر)، والمخدر في اللغة: هو المفتر⁵¹ الذي يؤدي إلى الفتور أو إلى الكسل أو الاسترخاء، أو إلى النعاس والتقل في الأعضاء.

وبشكل عام، تعرّف المخدرات بأنها كل مادة طبيعية أو مستحضرة في المصانع، من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية أو الصناعية الموجهة أو الرشيدة أن تؤدي إلى حالة من التعود والإدمان، الذي يضر بالصحة الجسمية والنفسية للفرد والمجتمع، أو هي مواد تسبب للإنسان (والحيوان) فقدان الوعي بدرجات متفاوتة⁵²، وهي مواد كيميائية تسبب النوم والنعاس، وغياب الوعي، المصحوب بتسكين الألم، أو تسبب التنبيه الزائد، والهلوسة وزيادة النشاط...

- المخدرات من الجانب العلمي:

يعمل الجانب العلمي والطبي على إعطاء تعريف دقيق للمخدرات يجمع فيه جميع تأثيرات النفسية والجسدية والعقلية على مستعمليه.

فتذكر المخدرات هي مواد منشطة نفسيا بإمكانها إحداث آثار نفسية على جسد المتعاطي، كما أنها تعرفها بأنها عقاقير المستخلصة من النباتات أو الحيوانات أو مشتقاتها أو مركب من المركبات الكيميائية

مجلة أنثروبولوجية الأديان | العدد الثاني والعشرون | 22 | جردان 2018

والمشروبات الكحولية التي تؤثر سلبا أو إيجابا على الكائن الحي بالإضافة إلى الأدوية الممنوعة وأدوية العلاج المسموح بها، وهذه العقاقير تغير من حالة الإنسان المزاجية، ويعتمد عليها الإنسان في حياته بسبب خاصيتها المخدرة، وليس بسبب ضرورة علاج المرض الذي يستوجب تكرار استعمال دواء محدد كأدوية مرضى السكري وأدوية خفض الضغط الدموي، وهذه المواد قد تكون مهلوسة أو منبهة للأعصاب، وقد تكون مسكن للألم وقد تلغيه نهائيا كالأفيون ومشتقاته والكوكايين، وهي تسبب في بعض الأحيان النعاس أو النوم أو تحدث غياب الوعي الكامل.⁵³

وتعرف أيضا بأنها مواد تؤثر على الجهاز العصبي المركزي ويسبب تعاطيها إلى حدوث تغيرات في وظائف المخ، وتشمل هذه التغيرات تنشيطا أو اضطرابا في مراكز المخ المختلفة تؤثر على مراكز الذاكرة والتفكير والتركيز واللمس والشم والبصر والذوق والسمع والإدراك والنطق.⁵⁴

المخدرات من الجانب القانوني:

انطلاقا من التعاريف الطبية للمخدرات عرف الاتجاه القانوني المخدرات بأنها كل مادة خام أو مستحضرة تحتوي على مواد منبهة أو مسكنة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية أن تؤثر على النشاط الذهني والحالة النفسية لمتعاطيها، وتؤدي إلى حالة من الإدمان عليها مما يضر بالفرد جسديا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا.⁵⁵

وعرفت كذلك بأنها مجموعة من المواد تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي، ويحظر تداولها أو زراعتها أو تصنيعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يتم الترخيص له⁵⁶ بذلك من أجل حصر جميع المواد ذات الخصائص المعينة كيميائيا وفيزيولوجيا، مما يسمح مستقبلا باكتشاف مواد مخدرة تدخل تحت المراقبة والحظر.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد الثاني والعشرون 22 جردان 2018

وقد جاء القانون الجزائري الذي جعل جريمة المخدرات تستمد شرعيتها من قانون العقوبات وهو المتعلق بحماية الصحة وترقيتها في نص قانون رقم: 85-05 المؤرخ في 16 فيفري 1985 في مواد 190، 242، 243 بالحبس وغرامات مالية إذ تنص المادة 243 على ما يلي: "يعاقب بالحبس من عشرة 10 إلى 20 عشرين سنة وبغرامة مالية تتراوح من 5000 دج إلى 10.000 دج الذين يصنعون بصفة غير شرعية المخدرات أو يحضرونها أو يحولونها أو يستوردونها أو يتولون عبورها أو يصدرونها أو يستودعونها أو يقومون بالسمسة فيها أو يبيعوها أو يرسلونها أو ينقلونها أو يعرضونها للتجارة بأي شكل كان".⁵⁷

المخدرات من الجانب الشرعية الإسلامية

هناك اعتقاد خاطئ في المجتمعات الإسلامية بأن الله حرم الخمر ولكنه لم يرد نص لا في القرآن أو السنة ولا في أقوال الصحابة ما يحرم المخدرات وتعاطيها، هذا كله جعل بعض الأفراد داخل المجتمع يقومون بمختلف واجباتهم الدينية لكنهم لا يجدون سببا مقنعا لامتناعهم عن المخدرات رغم إدراكهم بمخاطرها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا، وأنا أهما لحم عن مسكر، وما أسكر كثيره فقليله حرام"

وقال أيضا: "كل مسكر حرام"⁵⁸

وهذا دليل على أن المخدرات لم تكن معروفة في هذه الفترة الزمنية، حيث أن المخدرات عرفت على حد قول الشيخ: حسن مخلوف في غزوة التتار بالشرق في المائة السادسة بعد الهجرة، ومن تم أجمع فقهاء المسلمين الذين عرفت عهدهم المخدرات وحرمتها وحرمت الاتجار بها، فقد نقل عن ابن الحجر عن بعض العلماء "أن في أكل الحشيشة مائة وعشرين مضره دينية ودنيوية" وعن ابن تيمية أن من قال بحلما كفر وأقر على ذلك أهل مذهبه، ويقول ابن تيمية أيضا أن "الحشيشة أخبت من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبت من جهة أنها تقضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يبعد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة.

(2) مفاهيم الإدمان على المخدرات

– الإدمان أو إساءة استعمال العقاقير

يعرف الإدمان في الطب بأنه "الميل الشديد إلى الكحول أو إلى المخدر، ونشوء عادة استعماله بصورة ملحة، واعتباره شيئاً لا يستغنى عنه، وبحيث يتطلب ذلك من الفرد المدمن تعاطي مقادير متزايدة منه، وذلك للحصول على التأثير المطلوب.⁵⁹

وتظهر أعراض الإدمان عندما يصل الفرد إلى مرحلة التسمم المزمن الذي يؤثر بدوره في النشاط العقلي والنفسي والجسمي والمهني والأسري والاجتماعي... كما تظهر هذه الأعراض عندما يتوقف الفرد المدمن عن تعاطي المادة أو عندما تنقص المادة التي يتعاطاها بصورة كبيرة، وتسمى هذه بأعراض الانسحاب.

وفي عام (1964) أصدرت منظمة الصحة العالمية (W.H.O) تعميماً استبدلت فيه كلمة الإدمان بعبارة "الاعتماد على العقاقير" أي أن كلمة إدمان تعني الاعتماد على العقاقير أو سوء استعمال العقاقير، بمعنى سوء الاستعمال الذي يتم من دون رأي الطبيب أو الاختصاصي.

وتعرف منظمة الصحة العالمية للإدمان⁶⁰ بأنه "حالة نفسية أو عضوية تنتج عن تفاعل العقار في جسم الكائن الحي، وينتج عن عملية الإدمان ما يسمى بالتعلق أو الاعتماد، كما ينتج عن ذلك أنماط سلوكية واستجابات مختلفة تشمل الرغبة في التعاطي وزيادة الجرعة للإحساس بالآثار النفسية المطلوبة".

وكذلك عرف الإدمان من قبل منظمة الصحة العالمية بأنه: "حالة من التسمم الدوري أو المزمن الضار بالفرد والمجتمع، وينشأ ذلك عن الاستعمال المتكرر للعقار الطبيعي أو المصنع، ويتصف ذلك بنشوء حاجة أو رغبة ملحة لا يمكن قهرها أو مقاومتها للاستمرار في تناول العقار والسعي الجاد للحصول عليه بأي وسيلة ممكنة، ولتجنب الآثار المزعجة المترتبة عن عدم توفره، كما يتصف ذلك بالميل نحو زيادة كمية الجرعة، ويسبب ذلك حالة من الاعتماد النفسي أو العضوي على العقار وقد يدمن المتعاطي على أكثر من مادة واحدة، كما أن أعراض الإدمان تختلف بصورة كبيرة من مادة إلى أخرى، بسبب التأثير الفارماكو ديناميكي للمادة.

مجلة أنثروبولوجية الأويان العدد الثاني والعشرون 22 جردان 2018

ويرى بعض الباحثين⁶¹ أن عملية الإدمان تختلف عن عملية التعود في أن التعود حالة نفسية مزاجية أو عقلية، تنشأ من خلال رغبة إرادية واعية لتعاطي العقار أو التعود عليه، والانقطاع من مرحلة التعود لا يؤدي إلى أعراض سحب العقار التي يتعرض إليها المدمن، يضاف إلى ذلك أن الفرد في حالة التعود لا يزيد الجرعة لسنوات، إلا أن هذه المرحلة من التعود قد تتطور إلى حالة الإدمان.

3) علاقة المخدرات بالجريمة:

المخدرات في حد ذاتها جريمة من أعظم الجرائم، تؤدي إلى هلاك العقل والجسم والنفس والمال والأفراد والمجتمعات، فكل القوانين سواء كانت وضعية أو شرعية تحرم المخدرات لما لها من تأثير سلبي على الحياة النفسية والاجتماعية والعقلية للفرد، فهي تؤدي إلى فقدان سيطرة المتعاطي أو المدمن على الانفعالات المختلفة مما يجعله لا يستطيع التحكم في سلوكياته ولا غرائزه الدافعة نحو السلوك الاجرامي بمختلف أشكاله.

– الاتجاه القائل بسببية المخدرات للجريمة:

يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن المخدرات تؤدي إلى ارتكاب الجرائم بشكل أو بآخر مباشرة أو بدون مباشرة وهو ما سنبنيه في الدراسات التالية:

/ دراسة الدكتور "بسكر" Pescor

قام "بسكر" في بحثه على عينة تتكون من 1000 حالة من المدمنين للمخدرات من نزلاء مستشفى العام بواشنطن عام 1943، حيث درس تاريخهم الإجرامي قبل الإدمان وبعده.

وتوصل إلى نسبة 75% من هذه الحالات لم يسبق لهم ارتكاب الجرائم قبل الإدمان وإنما ارتكبوها بعد الإدمان.⁶²

/ دراسة الدكتور "فوجل" Vogel

مجلة أنثروبولوجية الأويان العرو الثاني والعشرون 22 جردان 2018

درس الدكتور "فوجل" عددا كبيرا من الأحداث المدمنين نزلاء المستشفى العام بواشنطن عام 1937، وتوصل من هذه الدراسة إلى نسبة 67% من هؤلاء الأحداث تخلو حياتهم من الإجرام قبل الإدمان وإنما قاموا بها بعد ذلك.

/ دراسة الدكتور "وولف" Wolf

كتب الدكتور وولف في كتابه بعنوان "الحشيش في أمريكا اللاتينية" وبين العلاقة الموجودة بين المخدرات والجريمة، إذ بين بأن الحشيش يعمل على تضخيم المشاعر والانفعالات والاتجاهات الداخلية أي أن المتعاطي يشعر بدوافعه النفسية الكامنة، كما تثار وتتضخم تخيلاته إلى أقصى درجة وهو تحت تأثير المخدر، وهنا يقع الأفراد ذوو الاتجاهات العدوانية في الجريمة، ذلك لأن مشاعرهم تتضخم، فضلا عن تحررهم من الكف والضبط الطبيعي عندهم. ومن ثم يفسد حكمهم على الأشياء ويندفعون نحو ارتكاب الخطأ والجريمة⁶³.

ويذكر "وولف" على رأيه بآراء الكثير من الأطباء العقلين الذين أكدوا بأن الحشيش كباعث للعنف والجريمة، كما برهن "وولف" بالملاحظة العامة المعروف في البرازيل وهي أن المدمنين ينصحون المبتدئين من باب الوقاية ألا يتناولوا المخدر في حضرة أشخاص لا يستلطفونهم، تجنباً للوقوع في نقاشات وخلافات مثيرة قد تدفع إلى الشعور بالتحدي المتوهم لأتفه الأسباب ومن ثم قد يحدث من النتائج العنيفة ما لا تحمد عقباه.

ويضيف الدكتور "وولف" وبناء على ملاحظاته، أن الحشيشيثير الدافع الجنسي اثاره غير طبيعية، بحيث كثير ما يدفع إلى الجرائم والانحرافات الجنسية، وينتهي إلى التأكيد بأن المخدر يطلق سراح الميول اللاشعورية في الفرد، وأما عن رد الفعل المباشر للتخدير فهو الشعور بالراحة والمرح وهو شعور وقتي كاذب يتحول بسهولة إلى مشاعر عدوانية تحمل معها القديم والأخلاق والمعايير الاجتماعية والضوابط القانونية والدينية.

– الإتجاه القائل بعد سببية المخدرات للجريمة:

/ دراسة الطبيب "برومبرغ" Bromberg⁶⁴

يرى طبيب الأمراض العقلية "برومبرغ" أن الحشيش لا يعمل على خلق الجريمة أو تشجيعها، وقد توصل إلى هذه النتيجة على أساس ملاحظات الباحثين للمدمنين في السجون والعيادات، وكذلك على أساس بعض التجارب الإكلينيكية على المساجين ونزلاء المستشفيات.

/ دراسة الدكتور "بورهيل" Bourhill

احتك الطبيب بورهيل بالسكان الأصليين لجنوب أفريقيا، وذلك أثناء عمله كطبيب لبعض شركات المناجم، كما قام بإجراء تجارب علمية على مرض المدمنين من نزلاء مستشفى مدينة "بريتوريا" Pretoria، ومن هذه الدراسة لم يستطع أن يخرج برأي فاضح في العلاقة بين الإدمان والجريمة حيث وجد من دراسة تاريخ حياة المرضى المدمنين أن نسبة 36% منهم كانوا خطرا على الناس قبل دخول المستشفى ونسبة 13% كانوا أخطر على الممتلكات أي نسبة 49% من المرضى المدمنين يحملون تاريخا عدوانيا وأن نسبة 51% لم يكونوا كذلك وهذه النسب المتكافئة لا تعني ارتباط المخدر بالجريمة.⁶⁵

/ تقرير الدكتور بوكيه Bouquet

درس الدكتور بوكيه موضوع الحشيش في بلدان شمال إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، وقدم في هذا الشأن تقريرا إلى هيئة الأمم المتحدة يتضمن علاقة الحشيش بالجريمة، رغم أنه اعترف بوجود علاقة ما بين المخدرات والجريمة عند بعض دول العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن "بوكيه" يرى أن هذه النتيجة لا تنطبق على بلدان شمال إفريقيا وحتى دول العالم الإسلامي ككل، حيث قد ثبت له من بحوثه ودراساته وملاحظاته أن الجرائم قليلة في هذه البلدان وحتى وإن وجدت فهي قليلة لا تعدو بسرقات تافهة وأفعال بسيطة كما تبين له أنه في هذه البلدان، غالبا ما ترتبط المشاجرات وأفعال العنف بالخمر أكثر من ارتباطها بالمخدر.⁶⁶

خاتمة

مجلة أنثروبولوجية الأديان | العدد الثاني والعشرون | 22 جردان 2018

إن المخدرات تعمل على التأثير في الحالة الذهنية للإنسان، مما يؤدي إلى الإخلال بحالة التوازن الذهني له، بالإضافة إلى التأثير في الجهاز العصبي المركزي، وإحداث تغيرات في وظائف المخ وكشف الاتجاهات اللاشعورية والغرائز الطبيعية كما هي دون تعديل أو تهذيب ويتميز تكرار تعاطي هذه المواد الخطرة إلى ضمور الدماغ وإلى حدوث حالات الجنون، والتأثير على الجهاز العصبي والنفسي والعضوي للمدمن، وبالتالي يمكن أن يرتكب المدمن أفعالا تتعارض مع القانون والقيم الأخلاقية والاجتماعية، كارتكاب الجرائم بجرأة دون خوف من العقوبة، كما يخلق ذلك متاعب أسرية ومهنية، مما يجعلها عوامل مساعدة على الإجرام ومسهلة للانحلال والتخلف الاجتماعي المؤدي إلى انتشار الجريمة.

الهوامش:

- 1) هاني عرموش، "المخدرات: التعريف، الإدمان، العلاج"، دار النفائس، بيروت، 1993، ص11.
- 2) عادل الدمرداش، "الإدمان، مظاهره، وعلاجه"، سلسلة عالم المعرفة.
- 3) دردار فتحي، "الادمان" دون طبعة، د.ت، ص36
- 4) الفقي سعد، "المخدرات و الادمان ، الظاهرة و العلاج " ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية 2006، ص31
- 5) رجب ابراهيم ، " الحشيش و مقارنته بالخمر " ، القاهرة ، د.ت ص21
- 6) بوزيدي كمال ، ظاهرة المخدرات بين المخاطر و العلاج ، "مجلة الصراط " ، كلية اصول الدين ، جامعة الجزائر ، ع10، 2004، ص 279
- 7) نصر الدين مبروك ، "جريمة المخدرات في ضوء القوانين و الاتفاقيات الدولية " دار هومة ، الجزائر ، 2007، ص 29
- 8) عبد الحليم عويس ، "المخدرات و التدخين في ضوء الفقه الاسلامي ، دين و تراث "، د.ت ص35
- 9) فيصل محمد خير الزواد ، الامراض العصابية و الذهانية و الاضطرابات السلوكية "، دار القلم ، بيروت ، 1984، ص73

مجلة أنثروبولوجية الأويان العرو الثاني والعشرون 22 جردان 2018

- 10) جورى موزير ، البرامج و المشاكل المتعلقة بالاعتماد على الكحول و المخدرات " ، منظمة الصحة العالمية ، جنيف ، 1974 ، ص 411
- 11) عدنان الدورى ، " اساليب الجريمة و طبيعة السلوك الاجرامى " ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1973، ص911،
- 12) المغربي سعد ، "ظاهرة تعاطي الحشيش " دار الراتب ، بيروت ، لبنان 1984، ص 149
- 13) نفس المرجع ، ص 150
-) pescor mj : « Astatistical Analysis of the clinical records of 14 hospitalised dry Addicts » supplement n°143 washington gouverment printing office 1943.
- 15) Wolff p.o « Marihuna in latin America Lincore press , washington 1948 , pp 23.28 .
- 16) Bromberg w and nodgers « marihuana and agresive crime » Journal of psychiatry 1949 pp 825.827